الأسباب التي صنعت النصر يوم اليرمـــــوك

م. م إبـــْراهـــيـــم عباس حسين

١٤٣٢هـ ٢٠١١م

Reasons Behind the victory of AL_ Yarmouk Day

Victory is a gift in God s Hand He bestoots it upon whom *

He wishes and takes it He wishes God is not asked about what He does but human beings are asked

*** Relying on God does not mean leaving means There will**

be no victory without means

The generation of AL_Yarmouk battle and their high *

status victory would have not been a chieved

AL_Yarmouk was a great decisive battle
*****

Ending and cancellation the education of fear and the*

enemy is big and strong while we are small and weak
the duty is to surrender to the factual event

Courage and bravery are the basis for a dvancement *

*** AL_Yarmouk Battle is the beginning of international Polarity**

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد الأمين، وأزواجه أمّهات المؤمنين، وآله الطّيبين الطّاهرين، وأصحابه الصّادقين المخلصين.

أما بعد :

فالكلام عن اليرموك له خصوصيته وأهميته، فاليرموك أول معركة بهذا الحجم وهي أول مواجهة كبيرة.

وهذا التحدي مع دولة عظمى إذ لم يكن يومها غير قطبين يحكم العالم، أما القطب الثالث فهو قطب ناشئ جديد فتي حديث عهد على ساحة المشهد السياسي، لكن هذا القطب أذهل اللاعبَين بتفوقه وتقدمه وبنجاحاته الساحقة وإنجازاته التاريخية القياسية، فأخذتْ هاتان القوتان تحسب له ألف حساب وحساب.

انّ مِمَّا لا شك فيه أنّ بصمات وآثار قدرة الله وإرادته وتدبيره ولطفه ومنّه وجوده وكرمه وحوله وقوته كان واضحاً ظاهراً جلياً يوم اليرموك.

لكن هذا لا يتنافى ولا يتعارض مع الأسباب التي أمر الله بالأخذ بها، فالله جعل لهذا الكون أسباباً وقوانين وسنناً وضوابط وقواعد يسير عليها.

فالإسلام ما انتشر وبلغ الآفاق إلا بالأسباب والتحدي و الجرأة والإقدام والشجاعة والتضحية والإصرار والمواجهة والدماء والجماجم وأشلاء الصحابة الكرام الأجلاء الأخيار الأطهار الأشراف رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل الجنة مثواهم.

فلهذه الأهمية الكبرى لليرموك أخذتُ أفكر بالكتابة عنها فاهتديتُ إلى هذا البحث وهو بعنوان : ***((الأسباب التي صنعت النصر يوم اليرموك))***.

وهو الجزء الثاني وتكملة للبحث الأول والذي عنوانه :

((معركة اليرموك دراسة موضوعية تحليلية)).

أما الجزء الثالث فكان عنوانه :

((أعلام وأسماء ورجال ونساء يوم اليرموك)).

وكان منهجي في هذا البحث أن أعرض الفكرة بصورة مختصرة موجزة من غير إطالة ولا تفريعات مُمِلة، بشرط أنْ يكون هذا الإختصار غير مُخِل في عرض الفكرة بل تكون واضحة بينة. وقد اعتمدتُ في صياغة هذه الأسباب على روايات الطبري للمعركة ثم المصادر والمراجع الاخرى.

على أنْ لا أُكرر شيئا من العنوانات بين البحوث الثلاثة، لِمَا في التكرار من إطالة وعيب وقصور وخلل وملل، فما أذكره في بحث لا اعيده في الثاني.

والذي أرجوه أن أكون قد وفقت لخدمة هذه المعركة المباركة.

السبب الأول : ـ حضور الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

كان لحضور الصحابة الأثر البالغ والأهمية الكبرى والسبب الرئيس في النصر وذلك لأن وجودهم في المعركة له مدلول وإشارة واضحة، فشهود الصحابة الكرام للمعركة يدل على الرمزية، ولهذا قال المثنى بن حارثة الشيباني : ((وبالله ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم))[1].

وقال أبو إسحاق : ((كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء))[2].

((فواق بضم الفاء وفتحها ما بين الحَلْبَتَيْنِ من الوقت لأنهاتُحْلَب ثم تترك سُوَيْعَةً))[3]الأول يُقسِم والثاني يجزم أن الصحابة لا يقف العدو أمامهم إلا سويعات.

كان بإمكان هؤلاء الأصحاب أنْ يتخلفوا عن المواجهة بحجة التعب والاستراحة وطلب الإحالة على التقاعد بعد كل عناء الغزوات والسرايا والفتوحات.

لكن الشعور والإحساس بالمسؤولية وأنهم مكلفون بمُهمة جسيمة عظيمة وهي نشر الإسلام وإيصاله إلى جميع الأمم والشعوب، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[4]

فالرِّسالة عالمية للناس جميعاً وهذا هو الدافع الرَّئيس وراء خروجهم.

❖ ***عدد الصحابة الذين شهدوا المعركة.***

---

[1] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص٤١١، والكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥٢.

[2] البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٥.

[3] محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح (بيروت : دار الكتاب العربي)، ص ٥١٥.

[4] سورة سبأ آية ٢٨.

((شهد اليرموك ألف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم نحو من مائة من أهل بدر))[1].

ان العدد ألفاً من الأصحاب يشهدون المعركة عدد غير قليل وهو رقم له وزنه وقيمته المعنوية والمادية، امّا عن أهل بدر فان ثلث أهل بدر يحضرون المعركة فهذا يحتاج إلى بحث وهو موضوع وعنوان يستحق تسليط الضوء والكتابة عنه.

السبب الثاني : ـ توحيد الجيوش في جبهة الشّام.

كانت الفكرة الأُولى : ان الصديق بعث أربعة جيوش إلى الشّام : جيش إلى حِمْص وجيش إلى دمشق وجيش إلى الأردن وجيش إلى فلسطين[2].

هذا هو التخطيط الأول أنْ يُقاتل كل أمير وجيشه الرّومَ على جبهة من الجبهات الأربع إلا أنهم: ((أجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد وأن يلقوا جمع المشركين بجمع المسلمين))[3].

إنّ قتال المسلمين على عدة جبهات له محاذيره ومخاطره ومخاوفه ومساوئه لأن الخسارة على جبهة من الجبهات الأربع تعد نكبة ونكسة وكارثة وقاصمة، لأن أعداد المسلمين معدودة محسوبة قليلة فأي خسارة لا تعوض على عكس جيش الرّوم فأعدادهم كبيرة كثيرة ودولتهم قديمة ضخمة لها جيوش جرارة في كل

---

[1] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٧، وعلي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق، محب الدين أبي سعيد عمر العمروي (دار الفكر)، ج ٢، ص ١٤٣، والكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥٥.

[2] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص٣٨٧،٣٩٤، والبداية والنهاية، ج ٧ ص ٣.

[3] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٢، ٣٩٤، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ٥، وعبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المسمى : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق، خليل شحادة (بيروت : دار الفكر، ١٩٨٨)، ج ٢، ص ٥١٤.

مكان وكل ناحية. فكان القرار الاستراتيجي وهو أن لابدّ من المواجهة المصيرية الحتمية الحاسمة الفاصلة.

وهذا يدل على مكانة التفكير والرؤية والتخطيط للمستقبل والتطلعات، وقراءة الأحداث قبل وقوعها ورؤية النتائج قبل أنْ تحسم، وهذا الأمر أهم وأكبر وأعظم من مواجهة المعركة، فكم كان القرار صائباً صحيحاً ضرورياً، عندما غيرت الفكرة واتخذ أمر وقرار المواجهة الكبرى.

السبب الثالث : ـ خالد بن الوليد واليرموك.

أ ـ القيادة العليا تأمر خالداً بترك جبهة العراق والتوجه إلى جبهـــــة الشام فوراً.

عندما أرسل الصِّديق جيوشه الأربعة إلى الشّام : ((كان خالد بن الوليد يقاتل على جبهة العراق))[1] .

لكنهم حين قرروا المواجهة الكبرى الحاسمة،((واستمدّوا أبا بكر قال ـ الصِّديق ـ ***خالد لها*** فبعث إليه وهو بالعراق وعزم عليه واستحثه في السير فنفذ خالد لذلك ؛... ووافق قدوم خالد قدوم باهان))[2].

عندما اتخذ قرار المواجهة المصيرية كان لا بد مِن المدد فطلب من المركز العاصمة المدينة المنورة ذلك فكانت البشارة بخالد فكان المدد نعم المدد.

ب ـ خليفة رسول الله يختار خالداً قائداً عاماً للمعركة.

---

[1] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص٣٩٣، والكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٤٨، وتاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٥١٦.

[2] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٣ـــ ٣٩٤، وتاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص٥١٦.

إنّ معركة بحجم وكبر اليرموك ليس لها إلا خالد، فعيْن الصِّديق لا تختارغيره ولا تقع إلا عليه، فرؤية أبي بكر الثاقبة والتي لا تخطئ.

انّ مثل هذا التحدي ليس له إلا سيف الله المسلول أبو سليمان خالد بن الوليد هذا الرجل الذي صاغه الله لقتل الكفار ودحرهم وهزيمتهم.

((فوجّه أبو بكر خالد بن الوليد أميرا على الأمراء الذين بالشّام، ضمهم إليه))[1].

إنّ أمر الصِّديق لخالد بالإمارة العامة على جميع الأمراء قد يكون فيه بعض الحزازات التي تحز في النفس وتبقي آثارا في النفوس فكان لابد على خالد أن يتلافى هذا الموضوع و يأخذه مأخذ الجد،انّ هذه المشكلة يجب أن تحسم وتحل، فقال بكلام بليغ يدل على رجاحة عقله وحكمته، ((فلما أحس المسلمون خروجهم ـ الرّوم ـ وأرادوا الخروج متساندين ـ متفرقين ـ سار فيهم خالد بن الوليد فحمد الله وقال :... فانّ هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبيه على تساند وانتشار فانّ ذلك لا يحل ولا ينبغي... فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون انه الرأي مِن واليكم ومحبته قالوا فهات فما الرأي ؟ ... إنّ الذي أنتم فيه أشدّ على المسلمين مِمَّا قد غشيهم وانفع للمشركين مِن امدادهم ولقد علمتم أنّ الدنيا فرقت بينكم فالله الله... إنّ تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هلموا فانّ هؤلاء قد تهيئوا وهذا يوم له ما بعده، إنْ ردَدْناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وانْ هزمونا لم نفلح بعدها، فهلموا فلنتعاور

[1] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٠٦.

الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غدا والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ودعوني إليكم اليوم. فأمّـــــروه))[1].

إنّ هذا الخبر يدل على انّ الأمراء الأربعة أرادوا أنْ يقاتلوا الرّوم وكل واحد منهم مســـؤول عن جبهته وجيشه والأمير العام خالد بن الوليد، فإمارة خالد على هذا الوجه والشكل ستكون إمارة شكلية رمزية فخرية، وهذا ما لا تُحمد عقباه، فكان لا بد على خالد أنْ يحسم هذا الموضوع أوّلا وقبل المعركة، فحُسم بتوفيق مِن الله وفضله ثم برؤية وحكمة خالد للموضوع.

السبب الرابع : ـ اختيـــــار المعركـــة والمكان.

انّ قرار اختيار المعركة وقرار المواجهة الكبرى هو الذي قرره المسلمون وفرضوه على العدو، وهذا هو رأي عَمرو بن العاص داهية العرب:

((إنّ الرأي الإجتماع وذلك انّ مثلنا إذا اجتمع لم يغلب... فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به وقد كُتِب إلى أبي بكر بمثل ما كاتبوا به عَمرا ؛ فطلع عليهم كتابه بمثل ما رأى عَمرو بان اجتمعوا فكونوا عســكرا واحدا والقوا زحف المشركين بزحف المسلمين... واجتمعوا باليرموك))[2].

بينما كان رأي هِرَقل هو أنْ يواجه المسلمين على عدة جبهـــــات حتى يضعفهم ((وأوعب القواد بالناس نحو الشام... وبلغ الرّوم ذلك فكتبوا إلى

---

[1] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص٣٩٥ ـــــ ٣٩٦، وياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان (بيروت : دار صادر،١٩٧٧)، ج ٥، ص ٤٣٤، والكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥٦.

[2] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٢ ـــــ ٣٩٣، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٦٢، والكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥١.

هِرَقل وخرج هِرَقل حتى نزل بحِمْص فأعدّ لهم الجنود وعبّى لهم العساكر وأراد اشتغال بعضهم عن بعض لكثرة جنده وفضول رجاله))[1].

انتصروا حين كانوا يهاجمون ويبادرون ويفرضون وهم يختارون زمان المعركة ومكانها.

السبب الخامس : ـ توقيت المعركة.

انّ الرقم الصعب الجديد في الساحة هو رقم المسلمين، فالمسلمون هم الفاعل الحقيقي في ساحة المشهد العسكري فهم الذين يشترطون ويرغمون العملاق للتنازل عند شروطهم وإلا فالقبول بنتائج المعارك المفزعة المروعة المذهلة، تحكّم كامل في الأحداث مِن حيث الكيفية والزمان والمكان.

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

فتفسير هذه الآية العملي الواقعي كان يفهمه هِرَقل جيدا حيث قال لقومه: ((أرى مِن الرأي ألا تقاتلوا هؤلاء القوم وأن تصالحوهم، فـــوالله لان تعطوهم نصف ما أخرجت الشّام ؛ وتأخذوا نصفا وتقــرلكم جبـــال الرّوم خيرلكم مِن أنْ يبلغوكم على الشام ويشـــاركوكم في جبال الرّوم))[3].

---

[1] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٢، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٦١، والكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥١.

[2] سورة آل عمران آية ١٣٩.

[3] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٠٢، والكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥١، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ٥.

السبب السادس : ـ تنظيم الجيش وتقسيمـــه.

أ ـ نظام الكراديـــس.

إنّ معركة مثل حجم اليرموك والتي ((خرجت الرّوم في تعبية لم يرَ الراءون مثلها قط، وخرج خالد في تعبية لم تعبِّها العرب قبل ذلك))[1].

إذاً كان لا بد لها مِن نظام جديد يكون فيه التقسيم عالي التحديث و الجودة، حتى يسيطر على نوعية وحجم المعركة، فكانت طريقة الكراديس فقسِّم الجيش، ((فخرج في ستة و ثلاثين كردوسا إلى الأربعين))[2].

فأعداد الكراديس بين الستة والثلاثين إلى الأربعين كردوسا،

((كل كردوس ألف رجل عليهم أمير))[3].

فتقسيم الجيش كان كل ألف مقاتل عليهم أمير يأتمرون بأمره و يحلون مشاكل المعركة فيما بينهم وبذلك تسهل السيطرة على مُجريات الأحداث، وعندما يأتي الأمر مِن القائد العام للمعركة يصل إلى المقاتلين بأسرع وقت وتنفذ المهمة على أتمّ وجه، وعندما تحدث مشكلة أو يحصل أي طارئ يجب أن يُحل بأسرع وقت فان التأخير في الحلول قاتل مدمر ويُعد مِن ألد الأعداء خصوصا إذا علمنا انّ عنصر المباغتة والمفاجئة مِن العناصر الحاسمة في المعارك.

---

[1] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣ ص ٣٩٦، والكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥٦، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ٧ ـــ ٨.

[2] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٦، والكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥٦، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ٨.

[3] البداية والنهاية، ج ٧، ص ٨.

فكان لابد مِن إتباع هذا التقسيم وهذا الأمر مِن ضروريات المعركة، وقسّم الجيش إلى القلب وهو عدة كراديس، والى الميمنة وهي عدة كراديس، والى الميسرة وهي عدة كراديس.

هذه الكراديس هي التقسيمات العسكرية للمعركة، أما التقسيمات المدنية والصنوف الإدارية والإعلامية فلم تكن غائبة عن المعركة بل كان لها دور مهم وفاعل ورئيس لإنجاح المعركة وصناعة النصر، فانّ مثل اليرموك ما كان لها أنْ تقتصر على الجيش والمقاتلين فحسب، وانّما كان هناك الجانب الاداري والخدمي فكان ***منصب للقاضي***، و***منصب للقاص، ومنصب للقارئ،*** وهما الجانب الإعلامي في المعركة، و***منصب الأقباض*** أي صاحب الميرة والطعام والغنائم، و***منصب الطلائع*** أي الاستطلاعات والاستخبارات.

ب ـ أسمـــــاء أمراء الكراديس والأمراء الإداريين.

انّ هذا التحدي الكبيـــر والذي وصف ((ولّما أقبلت الرّوم في خيلائها وفخرها قد سدتْ أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة ســـــوداء يصيحون بأصوات مرتفعة ورهبانهم يتلون الإنجيل ويحثونهم على القتال))[1].

لا بد للأمير العام للمعركة والقائد العام لها انْ يكون له مساعدين يخففون عنه الأعباء ويعينونه في حمل الأثقال ويتحملون معه جزءاً مِن المســـؤولية، ويجب أنْ توزع المهام بدل أنْ تكون في رأس شخص واحد لا غيره.

فاختيرت الأسماء وكان نعم الاختيار.

ومِن باب رد الإحسان والجميل، والواجب على الأجيال أنْ تعرف أسماء الذين كانوا سببا رئيسا ومهما في صناعة المجد والنصر للأُمة.

[1] البداية والنهاية، ج ٧، ص ٨.

وهـــــــم :

((فجعل ***القلب*** كراديس وعليها خالد بن الوليد وأبو عبيدة عامر ابن الجراح وجعل ***الميمنة*** كراديس وعليها عَمرو بن العاص وشُرَحبيل ابن حَسَنة وفيها عمارة بن مخشى بن خويلد على كردوس وخالد بن سعيد وعبد الله بن قيس على كردوس وعَمرو بن عبسة والسمط بن الأسود وذوالكلاع ومعاوية ابن خديج وجندب بن عمرو بن حممة وعَمرو ابن فلان ولقيط بن عبد القيس بن بجرة حليف لبني ظفر من بني فزارة ، وجعل ***الميسرة*** كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان والقعقاع بن عَمرو ومذعور بن عدي وعياض بن غنم وهاشم بن عتبة وزياد بن حنظلة ودحية بن خليفة وامرؤ القيس ويزيد بن يحنس وعكرمة بن أبي جهل وسُـــــهيل وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وهو ابن ثماني عشرة سنة وحبيب بن مسلمة وصفوان بن أمية وسعيد بن خالد وأبو الأعور ابن سفيان وابن ذي الخمار والزبير بن العوام وحوشب ذو ظليم وقيس ابن عَمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن مازن بن صعصعة من هوازن وعصمة بن عبد الله وضرار بن الازور ومسروق بن فلان وعتبة ابن ربيعة بن بهز وجارية بن عبد الله وقباث بن أشيم،

وكان ***القاضي*** أبو الدرداء ***والقاص*** ابوسفيان بن حرب وكان على ***الطلائع*** قباث بن أشيم وكان على ***الأقباض*** عبد الله بن مسعود وكان ***القارئ*** المقداد))[1]

[1] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٦ ـــــ ٣٩٧، بإختصار وتصريف.

السبب السابع : ـ القرآن والمواعظ والتذكير والنصح.

إنّ الإيمان يزيد وينقص وهو كالبطارية يحتاج إلى شحن وعند تشغيله وكثرة إستعماله يفقد الشحن ومرة ثانية لابد مِن الشحن، وكذلك النفوس تعلو وتهبط كالفولتية الكهربائية، يصعد المؤشر ويعلو ويرتقي بالقرآن والموعظة والتذكير والنصح،

فكان لابد مِن القارئ والقاص والمذكر والواعظ.

اما الوجه الثاني والحالة الثانية للإنسان فانه يهبط وينتكس ويتراجع وينهزم عندما يكون الضّغط عليه شديداً أليماً كبيراً قاسياً، فحينها يكون صغيراً حقيراً مهزوزاً مهزوماً.

إذاً فالقرآن والقارئ يجب أنْ يكون صوته مدويا في ساحات الوغى،((كان القارئ ـ في اليرموك ـ المقداد ومِن السّنة التي سنَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر أنْ تُقرأ سورة الجهاد عند اللقاء وهي الأنفال ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك))[1].

ولهذا كان أول الناصحين والمذكرين هو الصِّديق رضي الله عنه وأرضاه، فقال في وصيته حين أرسل جنده لفتح الشّام،((... ألا وان في كتاب الله مِن الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أنْ يحب أنْ يخص به ؛ هي التجارة التي دل الله عليها ونجى بها مِن الخزي وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة))[2].

[1] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٧.

[2] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٠.

وقال أسد اللــه خالد بن الوليد بعد انْ حمد الله واثنى عليه : ((... وهذا يوم له ما بعده إنْ رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم، وإنْ هزمونا لم نفلح بعدها...))[1].

وقال أمين هذه الأمة أبو عبيدة ((عباد الله انصروا الله ينصركم... اصبروا فانّ الصبر منجاة مِن الكفر ومرضاة للرب مدحضة للعار... والزموا الصمت إلا مِن ذكر الله في أنفسكم...))[2].

وهذا معاذ بن جبل ((وخرج معاذ بن جبل على الناس فجعل يذكرهم ويقول يــا أهل القرآن... انّ رحمة الله لاتنال وجنته لاتدخل بالأماني... فاســتحيوا رحمكم الله مِن ربكم أنْ يراكم فرارا مِن عدوكم وأنتم في قبضته...))[3].

وقال عَمرو بن العاص ((أيّها المسلمون غضوا الأبصار... واشرعوا الرماح... فثبوا إليهم وثبة الأُسد فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه ويمقت الكذب... لقد سمعتُ ان المسلمين ســيفتحونها كفرا كفرا وقصرا قصرا فــلا يهــولنكم

[1] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٦.

[2] أبو عبد الله محمد بن عمرالواقدي، فتوح الشام، تحقيق، هاني الحاج (القاهرة : المكتبة التوفيقية)، ج ١، ص ٢٨١، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٤٨، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ٨.

[3] فتوح الشام، ج١، ص ٢٨١ ـــــ ٢٨٢، ومحمد بن عبد الله الأزدي، كتاب فتوح الشام، تحقيق، د. عصام مصطفى عقلة وصاحبه (الأردن : مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، ٢٠٠٥)، ص ٣٢٣ ـــــ ٣٢٤، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٤٨ ـــــ ١٤٩، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ٨ ـــــ ٩.

جموعـهم ولا عددهـم فانكم لو صدقتموهم الشـد تطايروا تطاير أولاد الحجل))[1].

وهذا شيخ قريش أبو سفيان صخر بن حرب فقال ((يا معشر المسلمين انتم العرب وقدْ أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن أمير المؤمنين وامداد المسلمين وقدْ والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده شديد عليكم... والله لا ينجيكم مِن هؤلاء القوم ولا يبلغ بكم رضوان الله غدا إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة... فامتنعوا بسـيوفكم، وتقربوا بها إلى خالقكم وتعاونوا بها ولتكن هي الحصون... ثمّ ذهب إلى النساء فوصاهنّ ثمّ عاد فنادى: يا معشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم والشيطان والنار خلفكم))[2].

امّا أبو هريرة ((وقد وعظ الناس أبو هريرة ايضا فجعل يقول : سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم... ألا وانّ للصابرين فضلهم))[3].

((وهذا شُرَحْبيل بن حَسَنة والذي انكشف عنه أصحابه فثبت وهو يقول:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾[4] إلى آخرالآية أين

[1] كتاب فتوح الشام، ص ٣٢٤، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٤٩،وأبوالربيع سليمان بن موسى الأندلسي الكلاعي، الإكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفا، تحقيق، محمد عبد القادر عطا (ط ١، بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠)، ج ٢، ص ٢٨٢، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ٩.

[2] كتاب فتوح الشام، ٣٢٥، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٤٩ ـــ ١٥٠، والإكتفا، ج ٢، ص ٢٨٣، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ٩.

[3] الإكتفا ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ ، والبداية والنهاية ، ج ٧ ص ٩ .

[4] سـورة التوبة آية ١١١.

الشـــارون أنفسهم لله... وأين المشتاقون إلى جوار الله في داره ؟ قالوا فرجع إليه نـــاس كثيـــر))[1].

((وقال جندب بن عَمرو بن حممة ورفع رايته : يامعشر الازد، انّه لا يبقى منكم ولا ينجو مِن الإثم والعار إلا مَن قاتل...))[2].

((وقال عَمرو بن معدي كرب وهو الأمير على قومه زبيد وكانوا يعظمونه ... فلما نظر إلى قومه قد انكشفوا صـــاح فيهم : يا آل زبيد، يا آل زبيد، أتفرون مِن الأعداء أترمون أنفسكم بالعار والذلة والشنار ؟ فما هذا الانزعاج مِن كلاب أعلاج ؟... فأين تهربون من الجنة؟ أرضيتم بالعار وغضب الجبار...))[3].

السبب الثامن : ـ كتيبة الموت تبايع.

البيعة على الموت أنْ يقاتل المسلم حتى الشهادة وهذه البيعة غير مُلزمة للجميع وغير مفروضة على الجيش، وانّما هي اختيارية فمَنْ يختار ويبايع على الموت لا يحل له التراجع قيد انملة فانه ألزم نفسه بعهد قد شهد الله هذا العهد.

ولا يبايع ويلزم نفسه على الموت والشهادة إلا مَن بلغ إيمانه الذروة والمؤشر قد أشر إلى أعلى قمة الإيمان بالله وأعلى درجات الإحسان.

فالإنسانية جميعها تهرب وتفر مِن الموت حبا بالحياة وطمعا بالدنيا ورغبة بملذاتها.

---

[1] فتوح الشام، ج ١، ص ٢٩٦، وغزوات ابن حبيش، ج ١، ص ٢٧٩، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٥٦، والإكتفا، ج ٢، ص ٢٨٧.

[2] الإكتفا، ج ٢، ص ٢٨٤.

[3] فتوح الشام، ج ١، ص ٢٨٤ ـــــ ٢٨٥، وأبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، الفتوح (بيروت : دار الكتب العلمية)، ج، ص ٢٠١

لكن هؤلاء الأخيار والأشراف والوجهاء خرجت الدنيا مِن قلوبهم فهم لا يرون ولا ينظرون إلا إلى مرضاة الله ولذة النظر إلى وجهه الكريم وإلى الآخرة ونعيمها وإلى الجنة وسرمدها.

فكانوا سببا مهما رئيسا مِن أسباب النصر وذلك كونهم قاتلوا قتال الأُسد وضربوا بفعلتهم هذه مثلا لبقية الجند، فكانوا لهم مثلا حقيقيا للصدق والإخلاص والتجرد وحب الشهادة وإيثار الآخرة على الدنيا.

وهذا ما يحض الآخرين ويشجعهم ويعلي همتهم ويجعلهم يتنافسون على طلب الموت والشهادة وانّ مثل هؤلاء إذا كانوا في جيش وعسكر فانه لا يغلب، إلا انْ يشاء الله رب العالمين.

طلبوا الموت لينتصر جيشهم، طلبوا الموت لتحيى أمتهم، طلبوا الموت لينتشر الإسلام و تدخل الإنسانية فيه، طلبواالموت ليعيش المسلمون حياة العز والشرف والكرامة.

وكان صاحب الفكرة في عرض هذا الموضوع وأمير هذه الكتيبة الطاهرة الطيبة النقية الزكية المباركة الجليلة هو : عكرمة بن أبي جهل فقال ((قاتلتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل موطن وأفر منكم اليوم ثمّ نادى : مَن يبايع على الموت ؟

فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة مِن وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى اثبتوا جميعا جراحا وقُتلوا إلا مَن برأ، ومِنهم ضرار بن الأزور قال واتِىَ خالد بعدما أصبحوا بعكرمة جريحا... وبعمرو بن عكرمة))[1].

[1] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٠١، والكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥٧، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ١١ ـــ ١٢.

يتسابقون و يتنافسون على الإمارة في طلب الموت هم وأولادهم وأبناءهم، فهذا خالد ومعه ابنه عبد الرحمن أميرا على احد الكراديس كمَا مرّ سابقا، وهذا عكرمة ومعه ابنه عَمرو يبايع على الموت.
كيف لا ينتصر مثل هذا الجيش وفيه أمثال هؤلاء الآباء وأمثال هؤلاء الأبناء.

السبب التاسع: ـ خبر تحويل اصطفاف جَبَلة بن الأيهم الغساني.

خبرتحويل وتغيير وتبديل إصطفاف جَبَلة بن الأيهم ذكره مِن المتقدمين البلاذري[١].
وأيّده مِن المُحْدَثين : لبيد إبراهيم[٢]، وهاشم الملاح[٣]، وستيفن رنسيمان[٤].
وعلى صحة ثبوت خبر تحويل وتغيير وتبديل الاصطفاف، نكتب عن أهمية هذا الحدث: وهو أن جَبَلة بن الأيهم الغساني وقومه كانوا قبل المعركة مصطفين مع الرّوم ليقاتلوا المسلمين، وسبب اختيارهم للروم هو ان الرّوم دولة عظمى كبرى لها جذورها وتاريخها وصولاتها وجولاتها.
ومِن الطبيعي أنْ يقف هذا الرجل وقومه مع الرّوم لأن الناس دائما تقف وتصطف مع القوي.

---

[١] أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق، طه عبد الرؤف سعد وصاحبه (دار ابن خلدون)، ص ١٦٠.

[٢] د. لبيد إبراهيم أحمد، الخلافة الراشدة (ط ٢، بغداد : ١٩٩٠)، ص ٧٢.

[٣] د. هاشم يحيى الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة (الموصل : دار ابن الأثير، ٢٠٠٥)، ص ٣٧٣.

[٤] ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة، د. السيد الباز العريني (ط ٢، بيروت: دار الثقافة، ١٩٨١)، ج ١، ص ٣٥.

انّ مَن يخطئ في حساباته وتقديراته ورؤيته لا ضيرعليه أنْ يعيد الحاسبة مرة ثانية وثالثة ما دام هناك متسع ووقت وفرصة للتغيير.

كم كان هذا الرجل عبقريا ذكيا محنكا سياسيا حين علم ورأى نتيجة المعركة قبل بدأها ووقوعها.

فقرّر تغيير وتبديل وتحويل إصطفافه مِن المعسكر الخاسر المدحور المهزوم المخذول المذلول إلى المعسكر الفائز المنتصر الرابح.

وهذه هي السياسة لعبة الأذكياء ، فهم يعرفون كيف يلعبونهـــا.

امّا الأغبياء والمغفلون فانهم يبقون مع المعسكرات الخاسرة الفاشلة المهزومة يبقون مع الرّوم ليتكبدوا معه الخسران والحرمان والنقصان والذل والهوان.

فحين ترك هذا الرجل معسكر الرّوم كمْ كانت النكبة والنكسة والنتيجة السيئة التي خلفها في نفوس الرّوم.

امّا معسكر المسلمين فانّ تحويل هذا الاصطفاف يُعد نصراً معنوياً ومكسباً سياسياً شجّع المسلمين ورفع مِن معنوياتهم.

السبب العاشر : ـ إسلام القائد الرومي جرجه واستشهاده.

خبر إسلام القائد الرومي جَرجَه واستشهاده في أرض المعركة أورده المؤرخون[1] ، مطولا لأهميته وهو ما يقارب الصفحتين وما دار بينه و بين خالد بن الوليد مِن حوار وسؤال وجواب.

والذي يهمنا مِن هذا الخبر أنّ قائداً كبيراً ينسحب مِن جيشه و يذهب إلى عدوه و يسأل عن دينهم أسئلته الأخيرة ليقرّر دخوله في الإسلام والمعركة قائمة على

[1] يُنظر : تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٨ ـــــ ٤٠٠، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٦٠ وغزوات ابن حبيش، ج ١، ص ٢٥٣ ـــــ ٢٥٥،، والكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥٧، والإكتفا، ج ٢، ص ٢٧٠ ـــــ ٢٧٢، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ١٢ ـــــ ١٣، وتاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ٥١٦.

أشدها فيعلن إسلامه و يصلي ركعتين لاغيرها ويُقاتل قومه و جيشه الذي كان قبل قليل أحد قادته

الكبار ثمّ يستشهد في أرض المعركة !

نقف مع هذا الحدث عدة وقفات :

- قرّر هذا الرجل العظيم أنْ يترك الباطل ويدخل في الحق ولو كان هذا الدخول مكلفا وعلى حساب حياته ومغادرته الدنيا ،

لأنه اختار الإسلام في حال الحرب والمعركة والقتال والظرف الاستثنائي، ولم يقرر دخول الإسلام في حال السّلم والاستقرار والظرف الاعتيادي.

- انّ فعله هذا كمْ كان قاسيا مؤلما مرّا شديدا كبيرالوقع على الرّوم.

فانّ هذا الحدث دمّر وزلزل وحطّم معنويات الجيش الروماني قادة وجنوداً.

- في الوقت نفسه صبّر وشجّع المسلمين وأعلى مِن همتهم وجعلهم يتمسكون ويعتزون بإ سلامهم.

السبب الحادي عشر :ـ النساء يشهدنَ المعركة ، وللنساء فيها دور مهم.

أ ـ الدوافع وراء خروجهن.

حضور النساء ووجودهنّ في اليرموك وشهودهنّ المعركة لـــه خصوصيته يختلف عن سواها مِن المعارك كمَا سيأتي في المباحث التالية وانّ الدّوافع وراء حضورهنّ، أوّلا : ابتغاء الأجر الكبير العظيم.

ثانيا : مَن خرجت أو مَن كان وراء خروجها كأنهم أرادوا أنْ يبعثوا برسائل الأولى : لَمن كان في المعركة والثانية : لَمن لم يحضر المعركة.

أما مَن تواجد في المعركة مِن المقاتلين فهذا يجعلهم أكثر وأشد حرصا على المواجه وكسب نتيجة المعركة وعدم الضعف والخور وعدم الفرار مِن المعركة

حتى لو كانتْ قاسية مؤلمة لأجل عرض وشرف النساء المتواجدات في المعسكر فانّ المعركة لو انتهتْ بفوز العدو فانّ النساء سيصبحن جواري وإماء عند الكفار وهذا ما لا يرضى به الشرفاء الغيارى أصحاب المرؤة والنخوة ولا يقبلونه أبدا، ومِن المعلوم انّ أغلب النساء المتواجدات في المعركة هنّ امّا أمّ أو زوجة أو أخت أو بنت لمقاتل.

امّا الرّسالة الثانية فهي موجهة إلى الرّجال الذين لم يحضروا المعركة، أيّها الرّجال هذه النساء قدْ خرجتْ وشهدتْ وحضرتْ وقاتلتْ فأينَ أنتم وأينَ دوركم ومتى ستحضرون وما هو العذر الذي جعلكم تتخلفون عن المعركة انّ هذه الرسالة فيها مِن التوبيخ والتحقير والاهانة، وهذا ما لا يرضى به السيد الحر الشريف الأبي.

فكان حضور النساء رسالة وقد وصلت هذه الرسالة لَمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ب : ـ النساء قاتلنَ العدو.

إنّ حضور النساء يوم اليرموك كان حضوراً مهماً فاعلا رئيساً وأحد الأسباب الذي شارك في صناعة النصر.

لم يكن حضورهنّ في هذه المعركة كباقي المعارك والغزوات، يؤدين دوراً ثانوياً تكميلياً لأجل الطبابة والسقاية وإعداد الطعام والامور الخدمية الأخرى، وإنّما قاتلنَ قتالاً شديداً، وأبلين بلاءً حسناً، وقاتلن قتال الموت[1].

[1] يُنظر : فتوح الشام، ج ١، ص ٣٠٢، وفتوح البلدان، ص ١٥٩، وتاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٠١، والفتوح، ج ١، ص ٢٠٦، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٤٥، وغزوات ابن حبيش، ج ١، ص ٢٨٣، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ٥.

ج : ـ النســـاء يوبخـــن الفاريـــن مِن المعركـــة.

انّ معركة كبيرة فاصلة مصيرية حاسمة مثل اليرموك، وعدد الجيش فيها: ((فكانـــوا ستة وأربعين ألفا))[1].

وطبعا انّ هؤلاء ليسوا بمستوى واحد، وانّ للصبر حدود ينتهي عندها، ولهذا لّما أمرنا الله عزوجل بالصبرفي المعارك قال﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾[2]

فالأوّل فعل أمر وفعله الثلاثي صَبر، لكن في المعارك والقتال ينتهي الصبر فاحتيج إلى أمر ثاني وهو قوله ﴿ وَصَابِرُواْ ﴾ وهو مِن الفعل الرباعي صَابَر وهذه الزيادة في اللفظ والمبنى للفعل الماضي تفيد وتعطي زيادة في المعنى، أي إذا نفدَ الصبر فاصنعوا الصبر صناعة، فانّ نصر الله قريب وفرجه ليس ببعيد.

المقصود انّ بعض مَن في الجند سيضعف وسينهار وسيهز ويزلزل لا محال وهذه مشكلة ولكل مشكلة حلها وحل هذه المعضلة هي انّ ((النساء يتلقينَ الفارينَ والمنهزمينَ يرمونهم بالحجارة))[3].

ومَن لم ينفع معه هذا التوبيخ بالحجارة ينتقل معه إلى التوبيخ الأشد وهـــو الســـيف وأمرنَ بأمر الأمير والقائد العام للمعركة بقتل مَن يفر مِن المعركة كما

---

[1] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٥، و تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٥٩.

[2] سورة آل عمران آية ٢٠٠.

[3] **يُنظر كتاب** فتوح الشام، ص ٣٢٩، وفتوح الشام، ج ١، ص ٢٨٠ ـــــ ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، والفتوح، ج ١، ص ١٩٧، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٥٠، ١٥٤، وغزوات ابن حبيش، ج ١، ص ٢٧٤، ٢٧٧، والإكتفا، ج ٢، ص ٢٨٤، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ١١.

ورد : ((وساق خالد إلى النساء مِن وراء الجيش ومعهنّ عدد من السيوف وغيرها فقال لهنّ : مَن رأيتموه موليا فاقتلنه))[1].

السبب الثاني عشر: ـ نفسية المقاتلين والروحية العالية.

أ : ـ نفسية أُمراء المعركة وقادتها.

انّ مِمّا لاشك فيه انّ نتائج المعارك تتوقف كثيرا على نفسية المقاتلين قادة و جنودا.

وانّ المعارك لايكسبها إلا المتعصبون أي الذين يقاتلون مِن غير تردد ولا لين ولا ضعف يقاتلون بالظفر بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، وهذا ما ورد عن قيس بن هبيرة المرادي حيث قال ((لا ردّنا الله إلى أهلنا سالمين انْ خرجنا مِن الشام... فانْ قُتلنا فالجنة موعدنا ونكون في نعيم لايشبه نعيم الدنيا فقال أبو عبيدة رضي الله عنه صدق والله قيس بن هبيرة وبالحق نطق... ولسنا ببارحين منزلنا هذا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ثمّ قال قيس بن هبيرة... فانْ فاتنا فتح عاجل فما يفوتنا ثواب آجل))[2].

امّا كثرة عدد عدوهم الكاثرة وقلة عددهم وعدّتهم فكان موقفهم مِن هذه الحقيقة والمسألة هي ما ورد عنهم ما تستغربه الحسابات المادية الحسية المرئية.

فقال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ((... اعلموا انّه ليس بالجمع الكثيريهزم الجمع القليل... وانّ الله عز وجل يقول ﴿ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ

[1] **يُنظر** كتاب فتوح الشام، ص ٣٢٦، فتوح الشام، ج ١، ص ٣٠٢، وغزوات ابن حبيش، ج ١، ص ٢٧٢، والإكتفا : ج ٢ ص ٢٨٣، ٢٨٧، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ٨.

[2] فتوح الشام، ج ١، ص ٢٢٥ ـــــ ٢٢٦، وغزوات ابن حبيش، ج١، ص ٢٣٨.

شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] وربما ينصر الله العصابة القليل عددها على العصابة الكثيرة وما النّصر إلا مِن عند الله))[2].

وردّ عمر الفاروق بكتاب على بريد المسلمين كونهم خائفين مِن عدد عدوهم وعدّتهم وطلبهم للمدد فقال ((انّ ربنا المحمود ذا الصنع العظيم والمن الدائم قد رأى مكان هؤلاء الأساقفة والرهبان حين بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق فنصره بالرّعب وأعزّه بالنصر وقال وهو لا يخلف الميعاد ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[3] فلا يهولنك كثرة مَن جاءك منهم فانّ الله مِنهم برئ ومَن برئ الله منه لاتنفعه كثرته... ولا يوحشنك قلة المسلمين في المشركين فانّ الله معك وليس قليلا مَن كان الله معه فأقم بمكانك الذي أنت فيه حتى تلقى عدوك وتناجزهم إن شاء الله وستظهر بالله عليهم وكفى بالله ظهيراً ووليّاً وناصراً ... ولو كنّا انّما نقاتل عدونا بحولنا وقوتنا وكثرتنا لهيهات... وليكونوا أهون عليكم مِن الذر...))[4].

وكتب عُمر إلى المسلمين يوم اليرموك قائلا لهم ((يا أهل الإيمان... وليكونوا عليكم أهون مِن الذباب فانكم المنصورون عليهم انْ شاء الله تعالى ثمّ اقرأ عليهم ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[5]))[6].

---

[1] سورة الأنفال آية ١٩.

[2] فتوح الشام، ج ١، ص ٢٤٦، والفتوح، ج ١، ص ١٧٩، والإكتفا، ج ٢، ص ٢٥٥

[3] سورة الصف آية ٩.

[4] الفتوح، ج ١، ص ١٨٢ ـــ ١٨٣، وغزوات ابن حبيش، ج ١، ص ٢٤٥ ـــ ٢٤٧، والإكتفا، ج ٢، ص ٢٦٥ ـــ ٢٦٦.

[5] سورة المجادلة آية ٢٢.

[6] فتوح الشام، ج ١، ص ٢٤٧.

ولقد وردَ عن أبي عُبيدة رضي الله عنه حُسْن الإستدلال ودقة الفهم وقمّة الثقة بالله، انه لما سمع بعساكر الرّوم وكثرتهم قال ((الله اكبر ابشروا بالنصر على الأعداء ثمّ قرأ الآية ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [1]... واعلموا انّ الله معكم وليس بكثير مَن يخذله الله تعالى وليس بقليل مَـن يكون الله تعالى معه))[2].

امّا سيف الله في أرضه خالد بن الوليد فقال ((والله انا إنْ كنا نقاتل بالكثرة والقوة فهم أكثر منا وأقوى علينا وإنْ كنا انما نقاتلهم بالله ولله فما أرى انّ جماعتهم ولو كانوا أهل الأرض جميعا تغني عنهم شيئا... وكانوا أهون عليه من الكلاب))[3].

وقال له رجل مِن روم العرب : يا خالد انّ الرّوم في جمع كثير مائتي ألف أو يزيدون فانْ رأيت انْ ترجع، فقال خالد : بالرّوم تخوفني والله لوددت... وانهم اضعف ضعفهم فهزمهم الله عز وجل على يدي[4].

ب : صـــور مـن المعركـة.

❖ ***الصورة الأولى :*** ـ رجل يعزم أمْره للقتال حتى الشهـــادة.

((وكان أوّل مَن فتح باب الحرب يوم اليرموك... غلام مِن الأزد حدثا كيسا فقال لأبي عبيدة : ... إني أردتُ أنْ اشفي قلبي واُجاهد عدوي وعدو الإسلام وابذل نفسي في سبيل الله تعالى لعلي اُرزق الشهادة فهل تأذن لي في ذلك وانْ كان لك حاجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرني بها، قال فبكى

---

[1] سورة البقرة آية ٢٤٩

[2] فتوح الشام، ج ١، ص ٢٢٣ ـــــ ٢٢٤.

[3] غزوات ابن حبيش، ج ١، ص ٢٣٧، والإكتفا، ج ٢، ص ٢٦٠.

[4] تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٠٢، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٦٤، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ٩.

أبو عبيدة، وقال : أقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا. قال : ثمّ دفع الغلام الأزدي جواده وحمل يريد الحرب... فقتل أربع من الروم فخرج إليه خامس فقتل الازدي...))[1].

وهذا انموذج مِن المقاتلين وأحد الأمثلة الحية التي كانت في عداد وصفوف هذا الجيش الذي فعل وصنع النصر.

انّ وجود مثل هؤلاء في الجيوش أمر ضروري لابد منه لتحميس الجيش وتشجيعه وضرب الأمثلة الحية العملية الواقعية، وانّ مثل هذه الأفعال هي أبلغ مِن الخُطب الرنانة.

❖ ***الصورة الثانية :*** ـ أعلى قمّة الإيثار.

أوردَ الحافظ ابن كثير ((انهم لما صرعوا مِن الجراح استسقوا ماء فجئ إليهم بشربة ماء فلمّا قربتْ إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه، فلمّا دفعتْ إليه نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم مِن واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعا ولم يشربها أحد منهم، رضي الله عنهم جميعا))[2].

وهذه صورة أخرى مِن الإيثار والتضحية ونكران الذات وروحية المقاتلين الطاهرة النقية الزكية.

انّ البشرية وجيوشها لم تكن تعرف مِن قبل مثل هذه الأمثلة وتكاد تكون ضربا مِن الخيال والاسطورة.

جريح في المعركة وهو مشرف على الهلاك والموت ويأتيه ويصل إليه الماء فيرفضه ويدفعه ويؤثر به أخاه وكذلك يفعل الثاني والثالث، حتى يموتوا جميعهم ولم يشربوا الماء، انّ هؤلاء ضربوا أمثلة في قمة الإيثار.

---

[1] فتوح الشام، ج ١، ص ٢٨٣، والفتوح، ج ١، ص ٢٠٠، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٥١، والبداية والنهاية، ج ٧ ص ١٢.

[2] عيون التواريخ، السفر الأول، ص ٥١١، البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٢.

فكيف لا ينتصر جيش فيه أمثال هؤلاء الرجال الصادقين المخلصين الطيبين الطاهرين الشرفاء النبلاء الأخيار الأطهار الأجلاء.

السبب الثالث عشر : ـ أشـــراف قبائل العرب يشهدون المعركة.

قدْ شهد المعركة وقاتل فيها أشراف قبائل العرب : ((وخرج الناس على راياتهم وفيهم أشراف العرب وفرسانهم مِن رجالهم وقبائلهم، وفيهم الأزد وهم ثـــلث الناس وحِمْير وهم عظم الناس، وفيهم همدان وخولان ومذحج وخثعم وقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغسان وكندة وحضرموت ومعهم جماعة من كنانة، ولكن عظم الناس أهل اليمن، ولم يحضرها يومئذ أسد ولا تميم ولا ربيعة، ولم تكن دارهم هناك، إنَما كانت دارهم عراقية، فقاتلوا أهل فارس بالعراق))[1].

المعارك الكبيرة الفاصلة الحاسمة المخيفة يغيب عنها أكثر الناس وأغلبهم، والكل يقول ما لي وما لها فليشهدها غيري والكل يتنصل منها ويضعها على عاتق غيره، خصوصا إذا لم يكن الحضور إجباري قهري قسري.

لكن هؤلاء الأشراف الأخيار حَضَروها اختياراً منهم ورغبة في الأجر والثواب ولعلّ الله يرزقهم ويشرفهم ويختارهم مِن بين الشهداء.

وقد خصّ المؤرخون الأزد منهم بالذكر فقالوا : ((وثبتت الأزد وقاتلتْ قتالا شديدا لم تقاتل مثله أحد من تلك القبائل، وقتل منهم مقتلة لم يقتل مثلها قبيلة مِن القبائل))[2].

---

[1] كتاب فتوح الشام، ص ٣٢٢، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٤٨، وغزوات ابن حبيش، ج ١، ص ٢٦٩ ـــــ ٢٧٠، والإكتفا، ج ٢، ص ٢٨١.

[2] كتاب فتوح الشام، ص ٣٢٩، وفتوح الشام، ج ١، ص ٢٨٧، والفتوح، ج ١، ص ٢٠٣، وتاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٥٢، وغزوات ابن حبيش، ج ١، ص ٢٧٤.

فكان لهؤلاء الأشراف نصيب وسهم مهم مِن صناعة النصر فجزاهم الله عن اليرموك خير الجزاء وأحسن الثواب وجعل الفردوس مثواهم ومأ واهم.

الخاتمة :

مَن يعيش أجواء المعركة يشعر بالمرارة والقساوة والضراوة والصعوبة والتحدي الكبير، وذلك للفارق الشاسع بين المعسكرين مِن حيث :

التاريخ العدد العدة الإمكانيات التجهيزات القدرات الخبرات الصرفيات.

وهذا يعني انّ النتيجة ما كانت لتحسم لو لا عون الله ومدده وغوثه وعنايته ورعايته ولطفه لعباده الفاتحين.

ثمّ يأتي دور وأهمية الأسباب التي ذكرتْ فكل سبب له نسبة مئوية مِن الأهمية تختلف عن نسبة السبب الآخر لكن بمجموعها صُنع النصر صِناعة وكانت الصّدمة والنتيجة التاريخية المذهلة المدوية المروعة.

وملخص فكرة البحث هــي :

- النصر كالرزق بيد الله وحده يؤتيه مَن يشاء وينزعه مِمَن يشاء، لا يُسأل عما يفعل والخلق يُسألون.
- التوكل لا يعني إلغاء دورالأسباب وأهميتها، فلولا الأسباب بعد الله ما أُنجز النصر.
- مكانة جيل اليرموك والفتوحات : العالية السامية الكبيرة، فلولاهم بعد الله ما تحقق النصر.
- اليرموك معركة كبرى عظمى مفصلية حاسمة.
- إنهاء وإلغاء ثقافة الخوف والجُبن، وانّ العدو كبير قوي، ونحن صغار ضعفاء، والواجب التسليم للأمر الواقع .
- الجرء ة والشجاعة والإقدام أساس التقدم للأمام .
- اليرموك بداية الإنطلاق للقطبية الدولية .

هذا والله تعالى أعلم بالصواب وهو الهادي والموفق إلى سبيل الرشاد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر

ـ ***القرآن العظيم.***

١. ***ابن الأثير،*** علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) :ـ ***الكامل في التاريخ،*** حققه : د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٩٧ م .

٢. ***الأزدي،*** أبو إسماعيل محمد بن عبد الله البصري : ***كتاب فتوح الشام،*** تحقيق : د. عصام مصطفى عقلة و د. يوسف أحمد بني ياسين، تقديم : أ. د عبد العزيز الدوري، الأرد ن : مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، ٢٠٠٥م .

٣. ***ابن أعثم الكوفي،*** أبو محمد أحمد بن أعثم (ت ٣١٤ هـ) : ***الفتوح،*** بيروت : دار الكتب العلمية، (د. ت).

٤. ـ ***البلاذري،*** أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) : ***فتوح البلدان،*** تحقيق : طه عبد الرؤف سعد وعمرو أحمد عطوة، دار ابن خلدون، (د. ت).

٥. ***ابن حبيش،*** عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف (ت ٥٨٤ هـ): ***غزوات ابن حبيش،*** وهو : كتاب الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحافلة الكائنة في أيام الخلفاء الأول الثلاثة، تحقيق : د. سهيل زكار، دار الفكر، (د. ت).

٦. ***الحموي،*** أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ): ***معجم البلدان،*** بيروت : دار صادر، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.

٧. ***ابن خلدون،*** عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) : ***تاريخ ابن خلدون،*** المسمى : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي

الشأن الأكبر، ضبطه : خليل شحادة ، مراجعة : د. سهيل زكار، بيروت : دار الفكر، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

٨. ـ ***الرازي،*** محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ) :ـ ***مختار الصحاح،*** بيروت : دار الكتاب العربي، (د. ت).

٩. ***ابن شاكر الكتبي،*** محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ) : ***عيون التواريخ،*** تحقيق : حسام الدين القدسي، مكتبة النهضة المصرية، (د. ت).

١٠. ***ابن عساكر،*** أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ) : ***تاريخ مدينة دمشق،*** تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، (د. ت) .

١١. ***ابن كثير،*** أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ) : ***البداية و النهاية،*** بيروت : دار الفكر، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

١٢. ***الكلاعي،*** أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسي (ت ٦٣٤ هـ) :ـ ***الإكتفا*** بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفا، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، بيروت : دار الكتب العلمية، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

١٣. ***الطبري،*** أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) : ***تاريخ الرسل والملوك،*** تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة : دار المعارف، ط ٤ .

١٤. ***الواقدي،*** أبو عبد الله محمد بن عمر السهمي (ت ٢٠٧ هـ) : ***فتوح الشام،*** تحقيق : هاني الحاج، القاهرة : المكتبة التوفيقية، (د. ت).

المـــراجع

١. ***أحمد،*** لبيد إبراهيم : ***الخلافة الراشدة،*** بغداد : ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م

٢. ـ ***رنسيمان،*** ستيفن : ***تاريخ الحروب الصليبية،*** ترجمة : د. السيد الباز العريني، بيروت : دار الثقافة، ١٩٨١ م .

٣. ***الملاح،*** هاشم يحيى : ***الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة،*** الموصل: دار ابن الأثير، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥ م.